# دراسة الصور الكاريكاتيرية من خلال الكنايات التصويرية في القرآن الكريم

**الدكتور جواد محمد زاده**
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
j.mohammadzadeh@umz.ac.ir
**الدكتور حسن گودرزي لمراسكي**
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
h.goodarzi@umz.ac.ir

# A study of caricature images through picturesque metonymy in the Holy Qur'an

**Dr. Javad mohammadzadeh**
Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , Mazandaran University , Iran
**Dr. Hasan goodarzilemraski**
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , Mazandaran University , Iran

## الملخص:-

تعدّ الكناية ولاسيما التصويرية منها، أحد الأساليب غير المباشرة التي لها دورها في تجسيد المعاني الذهنية وتشخصها في أذهان المتلقّي لما لها من قوّة التصوير والتجميع بين الإقناع والتوصيل. لهذه الكناية حضور مكثّف في القرآن الكريم والتي تسعي بعضها إلى سخرية المنافقين والكفار وبعض ألد أعداء الإسلام ومحمدﷺ وهي تعتمد علي التجسيم والتشخيص لا علي اللفظ وتقدر على إثارة الضحك والتفريد وكشف العيوب إلا أنّ الغرض الرئيس منها تقويم وتهذيب وليس ضحكاً وكشف العيوب فقط. يتم إنشاء الصورة في هذا النوع من الكناية باستخدام كلمات مرئية مختارة ذات معنى واضح وأمثلة موضوعية. من ثَمّ قمنا بدراسة عدد من أنواع الكناية التصويرية الكاريكاتيرية في القرآن الكريم علي ضوء المنهج الوصفي - التحليلي، مستخدمين السياق اللغوي وغير اللغوي للكشف عن حقيقة هذه الكنايات والبواعث الكامنة فيها. من خلال تتبع الصور الكاريكاتيرية التي تجلّت في الكنايات التصويرية وجدنا أنّ الكناية عن الصفة غلب علي غيرها من الكنايات لغلبة الحديث عن الصفات المذمومة كالتبختر والمهانة والجبن ودناءة النفس،كما أنّ أغلب التصوير جاء فى تصوير وجوه الكافرين والمنافقين والغرض من استهدافهم مادة للكناية هو الضحك والإذلال وفائدتها تبيان درجة الذل والهوان أي أنّهم قاموا بإهانة الله ورسوله فأحبطهم وأذلّهم غاية الإذلال كما أنّ هناك كنايات تصويرية تمّ إيرادها بأسلوب تعليمي وعظي والهدف من ذلك بالإضافة إلى الضحك هو النصح والإرشاد والتوجيه. إنّ هذه الكنايات لا تعتمد علي الألفاظ فقط بل تبرز أمام القارئ كلوحة ترسيمية تُشرب المعاني في القلوب وتضاعف من تأثيرها فى النفس.


**الكلمات المفتاحية:** القرآن الكريم، الصورة الكاريكاتيرية، الكناية التصويرية، السياق.


## Abstract:-

Metonymy, especially picturesque metonymy, is one of the indirect ways to embody mental concepts, because it has great power in creating images and persuading the audience. This metonymy has a high frequency in the Holy Quran. Some of them are intended to make fun of the hypocrites and the staunchest enemies of Islam and Prophet Muhammad. This metonymy is based on image and visualization, not words and it is able to cause laughter and discover flaws but its main purpose is reform and refinement. n this type of metonymy, the image is chosen through the use of visual words and has a clear meaning and concrete examples. Then we studied a number of types of caricature figurative metonymy in the Holy Qur'an on the basis of the descriptive-analytical approach, using the linguistic and non-linguistic context to reveal the truth of these metonymies and the motives underlying them. Through studying the caricature images that appeared in figurative metonymies, we found that the metonymies for an adjective prevailed over other metonymies due to the predominance of talk about reprehensible adjectives, such as: pride, humility, fear and inherent evil. Also, most of the depictions are of the faces of unbelievers and hypocrites, and the purpose of targeting them is to laugh and humiliate them, and their benefit is to show the degree of humiliation and humiliation. There are also figurative metonymy that were presented in an educational and preaching style, and the aim of that, in addition to laughter, is advice, guidance and direction. These metaphors do not rely on words alone, but rather stand out before the reader as a graphic painting that brings meanings into the hearts and doubles their influence on the soul.


**Key words:** The Holy Qur'an, The caricature image, picturesque metonymy, and context.

## المقدمة:

مما لا شك في أنّ القرآن الكريم هو نثر فني بلغ في نظمه إلى ذروة البلاغة وله أسلوب لا يشاركه ولا يدانيه أسلوب كلام البشر ومن إحدي الميزات الرئيسية للأسلوب القرآني هي تجسيد المعاني المعقولة وتصويرها للمتلقّي في قالب من الصور البيانية، بمعني آخر إنّ التصوير الفني يعتبر أحد الأدوات التعبيرية المميزة في القرآن الكريم «فهو يبرز المعاني المعقولة في صورة محسنة متنزعة من الواقع المشاهد مؤتلفة ائتلافاً عجيباً في قوالب كلية متحركة تشعر منها الأصوات والألوان والحركات مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوّره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنايات المسبوكة سبكاً فريداً يأخذ بمجامع القلوب، ويمسك على الإنسان حسه ومشاعره.» (إسماعيل، ١٩٩٩م، ج١، ص٣٠٦) ومن الصور البيانية التي لها حضور مكثّف في القرآن الكريم هي الكناية التصويرية التي تخرج المعني المجرّد في مظهر المحسوس الملموس فإنّها تأتي بالمعنى مصحوبًا بدليله المقنع وتقوم بما يقوم به التشبيه والاستعارة «وهي لون من التشبيه كما هو معروف من إبراز المعاني والأهداف في صور محسّة مفردة أو مركبة موجبة أو سالبة، فيها تأديب وتهذيب، وترغيب وترهيب، وتنويه وتعريض، وتلميح وتمثيل، وغير ذلك من المقاصد والغايات مما يجد فيها السامع من الإقناع العقلي، والإمتاع العاطفي، ما لم يجده في غيرها من الكنايات المنتشرة في كلام الناس، هذا مع الإيجاز البليغ والتعبير الأخّاذ.» (المصدر نفسه)

من المقاصد والغايات التي تتناولها الكناية التصويرية في القرآن الكريم هي استعمال بلاغة الكناية في الانتقاد وإبراز السلبيات وتوظيف تقنيات الضحك من أجل الحط من قدر عدوّ الإسلام أو نقد الصفات البشعة والشنيعة كالتكبّر والنفاق والخوف حيث تصوّر للمتلقّي تصويراً كاريكاتيرياً للشخص المهجو من خلال تسليط الضوء علي التناقض أو إظهار العيوب بشكل بارز ويرسم مشهداً مضحكاً مثيراً مؤثراً؛ لأنّ الصورة أو الرسم أبلغ من الكلمات واللغة في إيصال الرسالة. فمن ثَمّ، يسعى هذا البحث إلى دراسة الصورة الكاريكاتيرية من خلال الكنايات التصويرية في القرآن الكريم من أجل التعرف على إدراك تقنية التصوير الكاريكاتيري في الآيات أو كيفية رسم الآيات لمشهد ما، ومن ثم استشعار أثر التصوير الفني في إيصال المعنى وتعميقه وبهذا تصاغ الأسئلة التالية:

- من هو الذي تستهدفه الكنايات التصويرية الكاريكاتيرية؟

- ما هي الصفات الأكثر استخداماً في التصوير الكاريكاتيري؟

- ما هو الغرض الرئيسي الذي يكمن وراء الكنايات التصويرية الكاريكاتيرية؟

## فرضيات البحث

غالباً ما، توجهت هذه الكنايات صوب المنافقين الذين يُظهرون إيمانهم للمؤمنين وهم في الباطن كافرون خائنون. التكبّر والنفاق والخوف هي من أكثر الصفات استخداماً في التصوير الكاريكاتيري. ليست الصورة الكاريكاتيرية المستخدمة في القرآن الكريم فناً للترفيه بل هي تساهم بنشر الحقيقة بشكل طريف وتعبّر عن الحقيقة.

## الدراسات سابقة

كثيرة هي الدراسات التي تناولت الكناية وأسلوب السخرية في القرآن الكريم ومنها:

- كتاب بعنوان «التصوير الساخر في القرآن الكريم» للكاتب: عبد الكريم حفني. نشر هذا الكتاب في الهيئة المصرية العامّة للكتاب عام ١٩٩٢م حيث تكلّم فيه الكاتب عن مفهوم السخرية وأهدافها ومجالاتها ثمّ جاء بالآيات التي يسخر فيها المشركون من المؤمنين ثمّ يقول إنّ القرآن الكريم استخدم أسلوب السخرية رداً علي سخرية أعداء الله من الإيمان والمؤمنين فهو سلاح دفاع وليس سلاح هجوم.
- بحث بعنوان: «بلاغة الكناية والتعريض في القرآن الكريم، سورة الزمر-أنموذجاً»، للكاتبة: سعاد عطاء الله. تمّ نشر هذا البحث في مجلة البدر، المجلد ١٠، العدد ١٢ سنة ٢٠١٨م. خصص هذ البحث لتحليل بعض الكنايات والتعريضات التي تضمنتها سورة الزمر، مع ذكر الغرض البلاغي لكل منها، وتوضيح جمال تصويرها، وقوة تأثيرها على السامع.
- بحث بعنوان: «السخرية في القرآن الكريم وألفاظها، دراسة وصفية»، للكاتب: جميل محمد عدوان. تمّ نشر هذا البحث في مجلة الآداب واللغات، المجلد ٢٠، العدد ٠١، سنة ٢٠٢٠م. ركز هذا البحث على إبراز المعاني التي اشتملت عليها ألفاظ السخرية في القرآن الكريم من خلال دلالاتها المتنوعة فكانت (٨) ثمانية ألفاظ، وهي: (سخر، خاض، ضحك، لعب، ملز، نبز، هزئ، همز).

- بحث بعنوان: «التصوير الكنائي عبر لغة الجسد في القرآن الكريم ودوره في إنتاج الدلالة»، للكاتب: شوزان نشأت. تمّ نشر هذا البحث في مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربويه، المجلد ٣٦، العدد ٣٦، سنة ٢٠٢٢م. قام الكاتب في هذا البحث بالكشف عن أسرار التصوير الكنائي الذي استخدم لغة الجسد في التعبير عن عواطف وحالات نفسية كالتعجب، أو الخوف، أو الإعراض، أو تصوير صفة معنوية بصورة حركية.
- كتاب "الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية" للكاتب: أحمد فتحي رمضان الحياني. نشر هذا الكتاب سنة٢٠١٤م في دار غيداء. قام الكاتب في هذا الكتاب بتعريف مفهوم الكناية ودلالتها الاصطلاحية وفرقها بين المجاز وفي الفصل الخامس تكلّم عن الكناية الساخرة وخلص إلى أنّ الكناية السّاخرة في طبيعتها سلاح يستخدمه القرآن ضدّ أعداء المسلمين وميّزهم بتعابير كنائية ساخرة تنال منهم نيلاً مؤلماً.

ولعل ما يميّز هذا البحث عن غيره هو المنهج القائم علي الاستقصاء والتحليل، إذ يتبع هذا البحث بالاستقصاء والتحليل عدداً من أنواع الكناية التصويرية الكاريكاتيرية مستخدماً السياق اللغوي وغير اللغوي للكشف عن حقيقة هذه الكنايات والبواعث الكامنة فيها، وكذلك الفرق بينها وبين تعابير حقيقية غير كنائية. أمّا قبل الخوض في صلب الموضوع، فمن الأهمية بمكان تسليط الضوء علي مفهوم الصورة الكاريكاتيرية والكناية التصويرية.

## فن الكاريكاتير والصورة الكاريكاتيرية:

تعود كلمة كاريكاتير إلى أصول إيطالية وهي مشتقة من كلمة "كاريكاتورا" والتي تعني المغالاة والمبالغة في إظهار العيوب «اشتقّت مفردة "كاريكاتور" من الكلمة اللاتينية "كاريكاره" caricare، ومن الإيطالية "كاريكاتورا" caricatura، وتعني حمّل أو شحن، كما أنّ للكاريكاتور صلة قريبة بالكلمة الإنكليزية character، وتعني الشخصية وكأنّ الكاريكاتور يكشف خبايا الشخصية.» (أبو عيّاش، ٢٠١٥م: ص٨٦٧) وقيل أيضاً: «الشخصية المسرحية أو القصصية المبالغ في مسخ صفاتها بقصد الإضحاك والسخرية.» (وهبة والمهندس، ١٩٨٤م: ص٣٠٣) واصطلاح كاريكاتير يعني «فن رمزي تهكمي

هجائي، يركز علي المبالغة في التّفاصيل والملامح ويعتمد علي دقّة الملاحظة وسرعة البديهة لإبراز موقف أو عنصر ما من العناصر الحياتية.» (أبو عيّاش، ٢٠١٥م: ص٨٦٦)

للكاريكاتير فلسفة خاصة ذات طابع اجتماعي تجعله فناً إنسانياً مؤثرًا، يعالج مظاهر الحمق، وضروب الظلم، وألوان الانحراف، ويشيع البسمات في قلوب الملايين واستخدام التعبير بالصورة عرفه المصريون القدماء، كما عرفه اليونانيون منذ العصر الهيلنستي، وسجله الشعراء العرب في صور ضاحكة، فهذا ابن الرومي يصور الفقر فيقول:

يُقَتِّـــرُ عِيسَـــى عَلَـــى نَفْسِـــهِ ... وَلَـــيْسَ بِبَـــاقٍ وَلا خَالـــدِ

وَلَـــوْ يَسْـــتَطِيعُ بِتَقْـــتِيرِهِ ... تَـــنَفَّسَ مِـــنْ مَنْخِـــرٍ وَاحِـــدِ

ولم يصور الكاريكاتير -في أول أمره- فكرة أو حدثًا أو موضوعًا، وإنما انحصر في الرسم المجرد، والتعليق الذي يكتب تحته هو الأصل في النكتة، وبه يتمكن الفنان من ذبح خصومه بالفكاهة المصورة، وهدم معارضيه باللوحات الضاحكة، والفتك بالأشخاص والآراء والنزعات بواسطة الرسوم المتتابعة والصور المضحكة التي تحمل معنى التهكم اللاذع والنقد الصاخب، وبذلك جرى الكاريكاتير مجرى المقالات الصحفية، وزاد عليها في السخرية من الأفراد والجماعات. (أبو ذكري، ١٩٨١م: ص٣٦٥)

يمكن تقسيم الكاريكاتير إلى أنواع عدة تبعاً للمضمون الذي يحمله، فهناك الكاريكاتير السياسي الذى يعالج موضوعات سياسية ساخنة مباشرة أو غير مباشرة، ثم يليه الكاريكاتير الاجتماعي الذي يرصد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأوضاع المعاشية للمجتمع، لكنّ الموضوعين متداخلان ومرتبطان مع بعضهما البعض في كثير من النقاط. ثم يأتي الكاريكاتير الفكاهي الذي يخلو أكثر الأحيان من الانتقاد، وهدفه إثارة الضحك فقط. (عبد العال، ٢٠١٦م: ص٧٥) أمّا بالنسبة لخصائص فن الكاريكاتير فتجدر الإشارة إلى أنّ أهمّ هذه الخصائص كما يحدّدها الدارسون لهذا الفنّ ما يلي:

أ. المبالغة والتفريد: فالكاريكاتير هو مبالغة في التعبير من خلال الصورة عن الخصائص الفريدة المميزة للشخصية.

ب. القدرة علي كشف العيوب: للكاريكاتير قدرة فريدة علي كشف مزايا بعض

الشخصيات، لكن اهتمامه الأكبر يكون موجهاً نحو الكشف عن العيوب. إنّه يلقي الضوء علي جوهر الشخصية الحقيقي. والكاريكاتير نوع من الحطّ من قدر الشخصية بالتركيز علي صفة من صفاتها أو ملمح من ملامحها وحين يلتفت إلى هذا الملمح وحده من دون سواه يقع التأثير المقصود.

ج. الفكاهة والضحك: من أهداف الكاريكاتير الأساسية أن يجعل المتلقّين يبتسمون أو يضحكون، ويفكرون أيضاً من خلال تأمّلهم لهذا التجسيد النّقدي الساخر لبعض الشخصيات التي يعرفونها. (عبد الحميد، ٢٠٠٣م: صص٣٧٥ -٣٧٢)

أمّا الصورة الكاريكاتيرية فهي طريقة تنبني علي المبالغة والغلو في التصوير «وهي الصور التي يرسمها الفنان لشخص أو موقف يستخدم فيها التشويه ويقصد إلى السخرية والإضحاك ويعتمد الشاعر فيها علي الحقد والكراهية وعلي التخيّل والتصوير الدقيقين لالتقاط صورة مشوهة مضحكة للمهجو» (إبراهيم، ٢٠٠١م: ص٢١٤) حيث يعبث الشاعر بمهجوه عبثاً يشبه أصحاب الصور الكاريكاتيرية قصداً لإثارة الضحك والهزل واللهو وإنّ الفنان الهازل «بلغته وأسلوبه يستمدّ صورة معبرة عن دلالة من دلالات حياته العقلية والاجتماعية، وما رافقها من تطور أو تجديد.» (المصدر نفسه: ص٢١٧)

وما هو متفق عليه أنّ الرسوم الكاريكاتيرية بمثابة فضاء ساخر يستهدف نقل رسالة معينة ومن الطبيعي أنّها تحمل دلالات كثيرة ومعاني مختلفة قد لا تظهر صراحة في الرسالة الكاريكاتيرية التي تتميّز عادة بتركها لفراغات في النّص، هذا ما يستدعي قدرة القارئ علي الفهم والتفسير ومن ثمّ التأويل بغية فهم قصدية صاحب الرسالة وعليه، يتضح أنّ النص الكاريكاتيري بالتحديد يتطلّب وجود قارئ نشط ومتميّز قادر علي تحريك هذا النّص وبثّ فيه مختلف الدلالات والمعاني بغية ملء الفجوات والفراغات التي تمثّل ما هو مختف في النّص وكذا إزالة اللبس وإنتاج فهم معيّن، هذا من أجل إتمام بنية الرسالة، وبالتالي تحقيق الاتصال بين القارئ وصاحب هذه الرسالة. (فطيمة، ٢٠١٤م: ص٢١٩)

## الكناية التصويرية:ـ

والكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، أي: المعنى الحقيقي للفظ الكناية. (القزويني، ٢٠٠٥م: ص٣٣٨) فهي ترك

التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك. (السكاكي، ١٩٨٧م: ص٥١٢) إحدى السمات الرئيسية للتعبير الكنائي هي عملية خلق الصورة. للكلام قوة الفهم والتفهم، لكنه لا يستطيع إظهار المفاهيم. إنّ الرسم يظهر ذلك، لكنه لا يملك القدرة على الفهم والتفهيم. في حين إنّ الكناية تعبر وتظهر في نفس الوقت، وهذا هو مفتاح التأثير العميق الذي تحدثه التعابير الكنائية على المتلقّي. (حسيني، ١٤١٣، ص٧٥٤) والكناية تقوم بتشخيص المعانى المجردة، وتحويلها إلى صورة محسوسة، ومعلوم أن تشخيص المعانى وتجسيد المشاعر، يكسبها قوة ويضاعف من تأثيرها فى النفس وتظهر كذلك قيمة الكناية فى أنها «تبرز المعنى فى صورة محسوسة يكون لها فى النفس أثر لا تجده ولا تحس به لو سيق المعنى فى تعبير صريح.» (الجارم، ١٩٩٩م: ص١٣١) بمعني آخر إنّ الكناية تقوم بنقل المعاني في صور تشدُّ الأذهان والأسماع، فتجسد المعاني، وتقربها من المتلقي، فمن المعلوم أنّ المحسوس المشاهد أقوي في النفس تأثيراً. أمّا الكناية التصويرية «فهي كناية لها معنى أولي، وهذا المعنى له مثال موضوعي في الواقع الخارجي. يتم إنشاء الصورة في هذا النوع من الكناية باستخدام كلمات مرئية مختارة ذات معنى واضح وأمثلة موضوعية. في الكناية التصويرية يصح أن يراد المعنى الحقيقي أيضاً.» (جبري، ١٣٩٤: ١٠٧) علي سبيل المثال، قال الله تعالى في سورة القلم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (القلم/٤٢) والتشمير عن الساق كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته وأصله أن يسند للإنسان؛ لأنّ تشمير الثوب عن الساق لخوض لجة أو جري أو نحوه فأسند للحرب لتشبيهها بالإنسان على طريق الاستعارة (الدرويش، ١٩٩٩م، ج١٠: ص١٨٢) نري أنّ هذا التعبير الكنائي هو ضرب من التصوير، يؤدي فيه المعنى المراد أداء غير مباشر فلا مانع هنا من وجود المعني الحقيقي فإن العادة قد جرت أنه حين يشتد الأمر يشمّر الإنسان عن ساقه، حتى لا تعوقه ملابسه عن الحركة، والجري، في مواجهة الشدائد، أو الفرار منها.

إذا ماتت الكناية التصويرية وتحوّلت إلى علامة لغوية، فإنها لا تفقد قدرتها على التصوير. قد يكون لهذه الكنايات معنى عرفي، ولكن نظرًا لأنها صانعة للصور ولها معاني متعددة المستويات، فإنها تبقي مصوّرة كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في البخل. (ميرزا نيا، ١٣٨٢، ص٧٧٨) فبالتالي ترجع الكناية التصويرية لسببين: الأوّل: أنّها تثبت الشيء بالدّليل والبرهان وفي هذا تأكيد للمعني والثاني:

أنّها تبرز المعني مصوّراً وتظهر المعقول في صورة محسوسة مما يجعله يتمكن في النّفوس ويستقرّ في الأذهان مما يدلّ علي دورها في أداء المعني وإبرازه. (الجرجاني، ١٩٩٢م: ص٣٠٦).

## دراسة الصور الكاريكاتيرية من خلال الكناية التصويرية:

إذا دققنا النظر في آيات القرآن الكريم فتارة نري أنّ القرآن رسم صورة هزلية مريرة للمهجو مملوءة بالتهكم والتشنيع فتارة جرّده من المروءة والشرف فيرينا صورة دقيقة رائعة تثير في النّفس السّخرية والتهكم حيث رسم له صورة كاريكاتيرية تدخل في أعماق النّفس وتلفت المتلقّي إلى عيوب المهجوّ ونقائصه وتدفعه إلى الكمال وإليكم نماذج من هذه الآيات:

## الكناية التصويرية الكاريكتيرية عن صفة التكبّر

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧)

### السياق اللغوي:-

قال ابن عاشور في هذه الآية الكريمة: «والمرح بفتح الميم وفتح الراء: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج١٥: ص١٠٣) والمرح مصدر وقع حالا، أي: ذا مرح. وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع من التأكيد فإنّ قولك: جاء زيد ركضا أبلغ من قولك: جاء زيد راكضا، فكذلك قولك مرحا «و﴿مَرَحًا﴾ مصدر وقع حالا من ضمير ﴿تَمْشِ﴾، ومجيء المصدر حالا كمجيئه صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف.» (المصدر نفسه) و«المراد بخرق الأرض هنا نقبها لا قطعها بالمسافة» (الرازي، ١٩٨١م، ج٢٠: ص٣٤٢) أي لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطئتك.

### السياق المقامي:-

جاءت هذه الآية الكريمة على بيان أهمية التواضع للفرد المسلم، ووجوب التحلي به، والتخلي عن الكبر والعجب والغرور حتى لا يَفْخَر أحد على أحد ولا يظلم أحد على أحد. استهدفت هذه الآية الكريمة المتكبرين، وأصحاب الكبرياء الكاذب وتخاطبهم بأنّه كيف يتكبرون ويسيرون فخراً. بمعني آخر حينما أراد القرآن الكريم أن يُوبِّخ أهل التكبُّر الكاذب أتى بأدْنى أجناس الوجود بالأرض والجبال وهي جماد؛ لكنه قد يسمو على

الإنسان ويفضُل عليه. يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «إنّها كناية عن أن فعالك هذا وأنت تريد به إظهار القدرة والقوة والعظمة إنما هو وهم تتوهمه فإن هناك ما هو أقوى منك لا يخترق بقدميك وهي الأرض وما هو أطول منك وهي الجبال فاعترف بذلك أنك وضيع مهين فلا شيء مما يبتغيه الإنسان ويتنافس فيه في هذه النشأة من ملك وعزة وسلطنة وقدرة وسؤدد ومال وغيرها إلا أُمور وهمية لا حقيقة لها وراء الإدراك الإنساني سخر الله النفوس للتصديق بها والاعتماد في العمل عليها لتعمير النشأة وتمام الكلمة، ولولا هذه الأوهام لم يعش الإنسان في الدنيا ولا تمت كلمته تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦).» (الطباطبائي، ١٩٩٧م، ج١٣: ص٩٥) فشاهد المثال الذي يرينا الكناية التصويرية هو "عدم خرق الأرض وبلوغ الجبال" فهو يعني أنّ الإنسان بهذا التكبُّر لن يستطيع أن ينقب الأرض، بل ستظل صلبة تتحداه، وهي أدنى أجناس الوجود وتُدَاس بالأقدام، وكذلك الجبال وهي أيضاً جماد ستظل أعلى منه قامةً. بعبارة أخري، إنه مهما بلغ من قوة وعلم، فإنه إنسان، وفى حدود البشرية ينبغى أن يعيش.

الصورة الكاريكاتيرية: كما هو معلوم أنّ المشي إنما يتم بالارتفاع والانخفاض فمن ثمّ يمكن أن نتصور شخصاً متكبراً يريد أن يخرق الأرض بقدميه الواهيتين وفي حال الارتفاع يريد أن يوصله إلى رؤوس الجبال إلا أنّه لا يقدر علي خرق الأرض ونقبها ولا يستطيع أن يصل إلى رؤوس الجبال والمراد التنبيه على كونه ضعيفاً عاجزاً فلا يليق به التكبر.

إنّ أبشع أنواع التكبّر، هو التكبّر عن دعوة الله، وقد رسمت الصورة القرآنية هؤلاء المتكبرين عن الإيمان بصورة تبعث على السخرية منهم. من خلال اللمسات النفسية والفنية المحركة للخيال، والمؤثرة في النفوس يقول الله تعالى في وصف واحد من هؤلاء: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ (القيامة/ ٣٣-٣١)

## السياق اللغوي:-

التكذيب: تكذيبه بالبعث وبالقرآن وبرسالة محمد ﷺ. والتولي: الإعراض عن دعوته إلى النظر والتدبر في القرآن. وفاعل (صدق) والأفعال المذكورة بعده ضمائر عائدة على الإنسان المتقدم ذكره. و(يتمطى): يمشي المطيطاء - بضم الميم وفتح الطاء بعدها ياء ثم طاء

مقصورة وممدودة - وهي التبختر. وأصل يتمطى: يتمطط، أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه وهي مشية المعجب بنفسه. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢٩: ص٣٦٢).

**السياق المقامي:-**

قال جمهور المتأولين: هذه الآية كلها من قوله ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ نزلت في أبي جهل بن هشام، ثم كادت هذه الآية تصرح به في قوله تعالى (يتمطى) فإنها كانت مشية بني مخزوم وكان أبو جهل يكثر منها. (المصدر نفسه) «هذه الصورة المضحكة للمتكبّر عن دعوة الله، وردت بعد مشهد الاحتضار، فهي ترتبط به، وتتواصل معه في التوجيه الديني ضمن سياق متفاعل متحرك بصوره، وتعبيراته، ومعانيه. فالتكبّر هنا يجسّم بحركة تمطّي الظهر، وامتداده، تعاجبا وتعاليا، والمتكبّر يقوم بهذه الحركة الكريهة، فيمطّ ظهره، ويمدّه، خيلاء وتكبرا، وأمام هذه الحركة الكريهة والمضحكة، التي ترسمها الصورة له، تأتي صورة نشأته الأولى، من مادة محتقرة، ثم ما مرّ به من مراحل النمو، حتى أصبح رجلا سويا لتذكيره بعجزه وضعفه، وقدرة الله عليه، وقدرته على بعثه وإحيائه بعد إماتته.» (الراغب، ٢٠٠١م: ص١١٧) وقد يقترن التكبّر عن دعوة الله، بالمكر والتآمر ضد الدعوة، فيقتضي ذلك صورة مفصّلة ترسم التكبر والمتكبرين الماكرين، بالخطوط، والحركات، والهيئات، لتصوير دقائق أساليبهم، وخفايا تآمرهم. إنّ إخراج الكلام في مقتضي الظاهر كان هكذا: يتبختر في مشيته مختالاً إلا أنّ القرآن الكريم اكتفي بالقول: ﴿يَتَمَطَّىٰ﴾ إيجازاً، أي: «جاء يمشي المطيطاء وهي مشية تبختر وهي أن يلقي بيده ويتكفّأ والفعل "يتمطّي" منحوت من الاسم "مطا"؛ لأن الظهر هو المَطَا، فيلوى ظهره تبخترا وهذه خاصة فى أبى جهل.» (الفرّاء، ١٩٨٨م، ج٥: ص٢٥٤)

الصورة الكاريكاتيرية: نري في هذه الآية الشخص المتبختر الذي إذا مشى لوى ظهره، وإنما فعل هذا لمرونه على المعصية بدل الاستحياء والخجل والانكسار.

كما هو معلوم، إنّ تصوير المعاني الأخلاقية في صور حسية أبلغ في التأثير. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٨ - ١٩)

في هاتين الآيتين هناك ثلاثة ألوان من الكناية التصويرية منها:

أ. تصعير الخدّ كناية عن التكبّر

**السياق اللغوي:-**

قال الدرويش في مادة الصعر «تصعر من الصَّعَر، وهو في الأصل داء يصيب البعير ويلتوي عنقه، وقيل أيضاً: الصعر بفتحتين ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشدقين وربما كان الإنسان أصعر خلقة أو صعره غيره بشيء يصيبه وهو مصدر من باب تعب وصعر خدّه بالتثقيل وصاعره أماله عن الناس إعراضا وتكبراً» (الدرويش، ١٩٩٩م، ج٧: ص٥٤٠) ويشبه به الإنسان المتكبر الذي يميل بخدِّه، ويُعرض عن الناس تكبّراً وهو تمثيل كنائي عن النهي عن التكبر والتفاخر.

**السياق المقامي:**

هذا مما قاله لقمان لابنه، نهاه فيه عن خصال ذميمة محرمة وهي التكبر على الناس بأن يخاطبهم وهو معرض عنهم بوجهه لاوٍ عنقه وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢١: ص١٦٦) إنّ الله تعالى بدل أن يقول: ولا تُمِلْ وجهك عن الناس أو ولا تُعْرِض بوجهك عن الناس تكبرًا، جاء بهذا التعبير الكنائي ليؤثّر في المتلقّي أبلغ تأثير حيث هذه الكناية التمثيلية الحسية، بحركتها وهيئتها «تنقل لنا معنى التكبر، بصورة كريهة منفرة، لما بين صورة المتكبر، وصورة «الصعر» في الإبل من تشابه وصلة، في الحركة والهيئة، والأثر الكريه المنفّر، فالصّعر في الأصل داء يصيب الإبل، فيجعلها تميل بأعناقها بهيئة منفّرة، وصورة المتكبر المائل بعنقه تشبه تلك الصورة الحسية في الإبل، وبذلك يغدو التكبر داء يصيب الإنسان، فيلوي عنقه خيلاء وتكبرا على عباد الله، فالعلاقة بين الصورتين واضحة في الحركة والهيئة، والسبب.» (الراغب، ٢٠٠١م: ص١١٦) اختيار هذا التمثيل الكنائي بالذات كأن الحق سبحانه يُنبِّهنا أن التكبُّر وتصعير الخدِّ داء، فهذا داء جسدي، وهذا داء خلقي. وقد تنبه الشاعر إلى هذا المعنى فقال:

فَـــدَعْ كُـــلَّ طَاغِيَـــةٍ للزَّمَـــان  فَـــإنَّ الزمَـــانَ يُقَـــيم الصَّـــعَر

يعني: إذا لم يستطع أبناء الزمان تقويم صعر المتكبر، فدعْه للزمان فهو جدير بتقويمه، وكثيراً ما نرى نماذج لأناس تكبروا وتجبروا، وهم الآن لا يستطيع الواحد منهم قياماً أو قعوداً، بل لا يستطيع أنْ يذب الطير عن وجهه. (الشعراوي، ١٩٩١م، ج١٩: ص١١٦٧٢)

كما قال المفسّرون إنّ الأصل في معني "التصعير" هو وصف مرض أو داء يصيب البعير والذي يؤدّي إلى إمالة عنقه فهو يحاول التخفيف من الألم ومن ثَمّ إنّ إمالة العنق وتحرّكه يميناً وشمالاً بحكم مرض فسيولوجي أو جسموريّ للتخفيف من الألم فهذا هو الداء الجسدي، أمّا التعالي والكبر فهو سلوك مشين يلجأ إليه المتكبر بسبب مرض سيكولوجي نفسي فهذا يعني أنّ القرآن الكريم ربط بين مرض الكبر والتعالي الذي يعاني منه بعض الناس ومرض البعير الذي يلوي عنقه للتخفيف من الداء الذي يعاني منه.

**الصورة الكاريكاتيرية:** نري في هذا التعبير الكنائي، المتكبّر الذي يعرض بوجهه عن الناس، إذا كلمهم أو كلموه، احتقاراً منه لهم، واستكباراً عليهم، فهو في إمالة وجهه أو عنقه أو خدّه في حالة التكبّر والخيلاء كالبعير الذي يمارس مثل هذه الإمالة وهو يعاني من شدّة وطأة المرض.

ب. غض الصوت كناية عن الأدب

**السياق اللغوي:**

﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: وانقص منه واقصر، من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه، وفي الأساس: «واغضض من صوتك: اخفض منه، وغضّ طرفك، وطرف غضيض، وغضّ من لجام فرسك أي صوبه وطأ منه لتنقص من غربه، واغضض لي ساعة أي احبس علي مطيتك وقف عليّ.» (الدرويش، ١٩٩٩م، ج٧: ص٥٤٢) أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي والمراد بذلك كله التواضع. (القرطبي، ١٩٦٤م، ج١٤: ص٧١)

**السياق المقامي:**

بعد أن قام لقمان بنهي ابنه عن التكبّر وأمره بالتواضع ونهيه عن المرح، نري أنّه أمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك؛ لأنّ الصوت الهادئ يوحي بالأدب والثقة. إنّ الله سبحانه تعالى في هذه الآية الكريمة بدل أن يقول "اخفض من صوتك فلا ترفعه" جاء بتعبير كنائي إلا أنّه ذيّله بتعليل تمثيلي وهو جملة ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ وإنّها تعليل علل به الأمر بالغض من صوته باعتبارها متضمنة تشبيها بليغا، أي لأن

صوت الحمير أنكر الأصوات. ورفع الصوت في الكلام يشبه نهيق الحمير فله حظ من النكارة. ببيان آخر إنّ هذه الجملة كناية تعريضية تمثيلية رد سبحانه بها على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت، ورفعه مع أن ذلك يؤذي السامع، ويقرع الصماخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي هو داخل الأذن، وبين عز وجل أن مثلهم في رفع أصواتهم مثل الحمير، وأن مثل أصواتهم التي يرفعونها مثل نهاقها في الشدة مع القبح الموحش. (الآلوسي، لاتا، ج٢١: ص٩٢-٩١) فبالتالي إنّ الغلظة والارتفاع في الصوت سلوك مكروه، يصوره التعبير بصورة حسية منفّرة مضحكة تبعث الكراهية والاشمئزاز من هذه العادة الذميمة حين تقارن بصورة الحمير بأصواتها المنكرة. (الراغب، ٢٠٠١م: ص١١٦)

وهذه الصورة الكاريكاتيرية تنستند إلى هجاء التقبيح، وإظهار العيوب والمثالب حيث إنّ الله تعالى في هذا النوع من التعريض (التعريض عن طريق التّمثيل) وضح نكارة الصوت الرفيع من خلال استناده على التشاكل الحيواني، وفق المقومات السيميائية التالية: التمثيل السيئ (نكارة الصوت + الحمار) والله تعالى من خلال هذا ينتقد من جهر بأصواتهم ولكن الصورة الساخرة في هذا النقد تكمن في ربط هذا التشويه بحيوانات وضيعة في المجتمع الحيواني ولا تثير الخوف.

الصورة الكاريكاتيرية: صوّر الله تعالى في هذا التعبير الكنائي الشخص الذي يرفع صوته وشبّهه بالحمار ومثّل صوته بالنهاق تنبيهاً على أن رفع الصوت في غاية من الكراهة كما أنّ إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة، وأن جعلوا حميرا، وصوتهم نهاقاً مبالغة شديدة في الذم والتهجين.

الكناية التصويرية الكاريكتيرية عن صفة المهانة والإذلال

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (القلم/ ١٦)

## السياق اللغوي:

سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له؛ ليكون مفتضحًا بها أمام الناس. ﴿سَنَسِمُهُ﴾ سنجعل له سمة وعلامة ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أي على الأنف وهو من باب إطلاق مشفر على شفة غليظة لإنسان وعبر بذلك عن غاية الإذلال؛ لأن السمة على الوجه شين

حتى أنه ﷺ نهى عنه في الحيوانات ولعن فاعله فكيف على أكرم موضع منه وهو الأنف لتقدمه، وقد قيل الجمال في الأنف وعليه قول بعض الأدباء:

وحُسْنُ الفَتَى في الأَنْفِ والأَنْفُ عَاطِلٌ فَكَيْفَ إذا ما الخَالُ كانَ لهُ حِلْيَا

وجعلوه مكان العزة والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا: الأنف في الأنف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل: جدع أنفه ورغم أنفه ومنه وفي لفظ ﴿الخرطوم﴾ استهانة لأنه لا يستعمل إلا في الفيل والخنزير، ففي التعبير عن الأنف بهذا الاسم ترشيح لما دل عليه الوسم على العضو المخصوص من الإذلال والمراد سنهينه في الدنيا ونذله غاية الإذلال. (الآلوسي، لاتا، ج٢٩: ص٢٩).

## السياق المقامي:

ذهب معظم المفسرين إلى أن المعني بهذا الوعيد هو الوليد بن المغيرة وهو والد خالد بن الوليد وعم أبي جهل. عرف بين قومه بالثراء وكثرة الأموال، وكان له عشرة من البنين، وكان مرجع قريش في أمورهم؛ لكنه كان لسوء حظه من أشد أعداء النبي ﷺ والمسلمين، وأكثر الناس إيذاء للنبي ﷺ ومتهما إياه بالسحر. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢٩: ص٧٨) لهذا السبب ابتلاه الله به في نفسه وماله وأهله من سوء وذل وصغار «وفي قوله «سنسمه على الخرطوم» كناية عن المهانة وأحطّ دركات الذل إذ لما كان الوجه أشرف ما في الإنسان والأنف أكرم ما في الوجه جعلوه مكان العزّة والحمية واشتقوا منه الأنفة ومن أقوالهم: حمي الأنف شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه وكان أيضا مما تظهر السمات فيه لعلوه، قال سنسمه على الخرطوم وهو غاية الإذلال والإهانة والاستبلاد إذ صار كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الأنف وإذا كان الوسم في الوجه شينا فكيف به في أكرم عضو فيه.» (الدرويش، ١٩٩٩م، ج٨: ص٣١-٣٠) إنّ إخراج الكلام في مقتضي الظاهر كان هكذا: سنشوّهه ونهينه غاية التشويه والإهانة إلا أنّ القرآن الكريم لجأ إلى الكناية ليصوّر المشهد للمتلقّي وقال: نجعل له سمة شر وقبح يُعرف بها مدى حياته أو سنجعل على أنفه علامة يعيّر بها ما عاش إلا أنّ القرآن الكريم لم يكتف بذكر الوسم بل ذكر الخرطوم ليجمع بين التشويه والإهانة. قال ابن عاشور: «الوسم: تمثيل تتبعه كناية عن التمكن منه وإظهار عجزه. وذكر الخرطوم فيه جمع بين التشويه والإهانة فإن الوسم يقتضي

التمكن وكونه في الوجه إذلالا وإهانة، وكونه على الأنف أشد إذلالا. والتعبير عن الأنف بالخرطوم تشويه، والضرب والوسم ونحوهما على الأنف كناية عن قوة التمكن وتمام الغلبة وعجز صاحب الأنف عن المقاومة.» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢٩: ص٧٧)

الصورة الكاريكاتيرية: في هذه الصورة بإمكاننا ترسيم إنسان ضال علي أنفه علامة كريهة مكوية طال وتورم وصار كالخرطوم- في هذا- إذلالاً له وإهداراً لآدميته. إنه ليس من عالم الناس! ثم ليس هذا وحسب، بل إن الوسم سيكون في أعزّ مكان منه، وهو الأنف، الذي هو موضع الأنفة والعزة. من جهة أخري، إنّ الوسم، أشبه بالوشم، وهو علامة يعلّم بها الحيوان، بالكيّ في موضع بارز من جسمه، فيكون أثر الكي علامة مميزة له، دالة على مالكه وبذلك، يظهر المهجو (الوليد بن المغيرة) في صورة كاريكاتورية مشوهة، لا تليق بالسادة الكرام.

النموذج الآخر لامتهان الشخص المتشامخ بأنفه، والمتطاول برأسه

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (العلق/ ١٥)

## السياق اللغوي:

لئن لم يرجع هذا عن شقاقه وأذاه يعني عن إيذاء محمد ﷺ وعن تكذيبه ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا وليطرحَنَّ في النار. قال ابن عاشور: «واللام موطئة للقسم؛ وجملة لنسفعن جواب القسم وأما جواب الشرط فمحذوف دل عليه جواب القسم. والتقدير: والله لئن لم ينته لنسفعن بالناصية. وحذف جواب الشرط وبقي جواب القسم لأن هذه هي القاعدة في اللغة العربية: أنه إذا اجتمع قسم وشرط فإنه يحذف جواب المؤخر؛ قال ابن مالك في ألفيته:

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ

وهنا المتأخر هو الشرط ﴿لئن﴾، والقسم مقدر قبله؛ إذ تقديره: والله لئن لم ينته لنسفعن. والسفع: القبض الشديد بجذب. والناصية مقدم شعر الرأس، والأخذ من الناصية أخذ من لا يترك له تمكن من الانفلات فهو كناية عن أخذه إلى العذاب وفيه إذلال؛ لأنهم كانوا لا

يقبضون على شعر رأس أحد إلا لضربه أو لجره. وأكد ذلك السفع بالباء المزيدة الداخلة على المفعول لتأكيد اللصوق. والنون نون التوكيد الخفيفة التي يكثر دخولها في القسم المثبت، وكتبت في المصحف ألفا رعيا للنطق لها في الوقف؛ لأنّ أواخر الكلم أكثر ما ترسم على مراعاة النطق في الوقف.» (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٣٠: ص٤٥٠)

**السياق المقامي:**

إنّ المقصود بهذا الوعيد هو أبو جهل.كان لعنة اللّه عليه يسبّ النبيّ ﷺ ويشتمه، وينال منه ويكذّبه، ويثير الناس عليه وعلى المسلمين. لهذا السبب أوعد الله هذا الضالّ وهدّده قائلاً إن لم ينزع عن ضلاله، لنسفعن بناصيته، أي لنجرنّه من رأسه جرّاً إلى جهنم. أمّا لماذا استخدم القرآن الكريم "أخذ الناصية" كناية عن الإذلال والامتهان؟ كما أسلفنا الذكر، أنّ المقصود من الناصية هو شعر مقدم الرأس «وكأن تخصيص الناصية بالذكر لأن اللعين كان شديد الاهتمام بترجيلها وتطييبها، أو لأن السفع بها غاية الإذلال عند العرب؛ إذ لا يكون إلا مع مزيد التمكن والاستيلاء ولأن عادتهم ذلك في البهائم» (الآلوسي، لاتا، ج٣٠: ص١٨٧) قيل أيضاً: «فجاء ذكر الناصية وهي مقدم شعر الرأس؛ لأنها أشد نكارة على صاحبها ونكالا به، إذ الصدق يرفع الرأس والكذب ينكسه ذلة وخزيا.» (الشنقيطي، ١٩٨٠م، ج٩: ص٣٧٣) بمعني آخر إنّ أصل الكلام - في غير كلام الله - لئن لم ينتهِ لنذلّه ونمتهنه- لكن بعد قانون تطبيق ظاهرة الكناية في الآية تحول إلى البنية السطحية المليئة بالتصوير والتأثير.

الصورة الكاريكاتيرية: في هذا النوع من الكناية، يمكن تصوير أبو جهل ويداه وقدماه مكبلتان بالأغلال، وشعر جبهته مقيد بشدة، وهو يُسحب نحو نار جهنم.

الكناية التصويرية الكاريكتيرية عن صفة الخذلان والانهزام

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران: ١١١).

**السياق اللغوي:**

إنّ الأذى هو الألم الخفيف وهو لا يبلغ حد الضر الذي هو الألم، ومعنى ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ يفرون منهزمين. وقوله ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ احتراس أي يولوكم الأدبار تولية منهزمين لا تولية متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة، أو متأملين في الأمر (ابن عاشور، ١٩٨٤م،

ج٣٠: ص٤٥٠) «الدُبُر: الظَّهر؛ ويقال: ولاهُ دبرَه: انهزم امامه والدبر: الإست والدُبُر من كل شيء عَقِبُه ومُؤَخَّرُه ج أدبار» (مصطفى والآخرون، لاتا، مادة دبر) ومعنى الآية: لن يصيب المؤمنين من اليهود ضرر في الأبدان، ولا في الأموال، وإنما هو مجرد أذى بالألسنة، كالهجاء والطعن بالنبي ﷺ، والتنفير من الإسلام.

## السياق المقامي:

إنّ سبب نزول الآية أنّ رؤساء اليهود عمدوا إلى عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم، فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس: والأذى قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠) و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠) و﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة: ٧٣) وقال الحسن: هو الكذب على الله، ودعاؤهم المسلمين إلى الضلالة. وقال الزجاج: هو البهت والتحريف. ومقصود الآية: إعلام المسلمين بأنه لن ينالهم منهم إلا الأذى باللسان من دعائهم إياهم إلى الضلال، وإسماعهم الكفر، ثم وعدهم النَّصرَ عليهم في قوله: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الآلوسي، لاتا، ج٤: ص٢٩) أمّا الكناية الكاريكاتيرية فهي متمثلة في عبارة "يولوكم الأدبار" «تولية الأدبار كناية عن الانهزام» (المصدر نفسه) فإنّ فضل الكناية هنا يعود إلى أداء المعني المكني عنه بأسلوب أكد في الدلالة عليه من التصريح كما صرّح به أبو حيّان «هذه مبالغة في عدم مكافحة الكفار للمؤمنين إذا أرادوا قتالهم، بل بنفس ما تقع المقابلة ولوا الأدبار، فليسوا ممن يغلب ويقتل وهو مقبل على قرنه غير مدبر عنه. وهذه الجملة جاءت كالمؤكدة للجملة قبلها، إذ تضمنت الأخبار أنهم لا تكون لهم غلبة ولا قهر ولا دولة على المؤمنين وأتى بلفظ الأدبار لا بلفظ الظهور؛ لما في ذكر الأدبار من الإهانة دون ما في الظهور، ولأن ذلك أبلغ في الانهزام والهرب؛ ولذلك ورد في القرآن مستعملا دون لفظ الظهور لقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر/ ٤٥) ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ (الأنفال/١٦) (أبو حيّان، ١٩٩٣م، ج٣: ص٣٢) إنّ أصل الكلام في غير كلام الله هو: فإن قاتلوكم انهزموا وفرّوا أمامكم إلا أنّ القرآن الكريم أراد أن يصوّر حال المشركين من اليهود تصويراً يؤثّر في المتلقّي.

الصورة الكاريكاتيرية: نري في هذه الكناية اليهود وهم منهزمون مخذولون يولون ظهورهم المنهزَمون منه إلا أنّ الله تعالى خص الأدبار بالذكر دون الظهر، تخسيسا للفار

ولجأ إلى الكناية السخرية اللاذعة منهم بانكشاف أدبارهم للمؤمنين.

الكناية التصويرية الكاريكتيرية عن صفة دناءة النفوس وقلة الرجلة

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة/ ٩٣).

## السياق اللغوي

في اختيار فعل (رضوا) إشعار بأن ما تلبسوا به من الحال من شأنه أن يتردد العاقل في قبوله كما تقدم في قوله - تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ (التوبة: ٣٨) وقوله: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (التوبة: ٨٣) (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج١١: ص٥) أمّا الخوالف فهو جمع خالفة وأطلق على المرأة لتخلفها عن أعمال الرجال كالجهاد وغيره «والخوالف جمع خالفة وهي المرأة التي تتخلف في البيت بعد سفر زوجها فإن سافرت معه فهي الظعينة، أي رضوا بالبقاء مع النساء.» (المصدر نفسه) والمراد ذمهم وإلحاقهم بالنساء في التخلف عن الجهاد. لقد ورد في كتاب صفوة التفاسير «الخوالف: النساء المقيمات في دار الحي بعد رحيل الرجال ففيه استعارة، وإنما سمي النساء خوالف تشبيهاً لهن بالخوالف وهي الأعمدة تكون في أواخر بيوت الحي فشبههن لكثرة لزوم البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت.» (الصابوني، ١٩٨١، ج١، ص٥٥٦)

## السياق المقامي:

نزلت الآية في المُخلَّفين من المنافقين منهم جد بن قيس ومتعب بن قشير وأصحابهما من المنافقين هؤلاء هم المؤاخذون بتخلفهم عن الخروج. لقد أبان اللّه تعالى في آية سابقة أنه لا مؤاخذة على المؤمنين المحسنين ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة/ ٩١)؛ لأنّهم ذوو الأعذار بحق، إنما المؤاخذة على المنافقين الأغنياء الذين استأذنوا في أن يقعدوا عن القتال. (الطباطبائي، ١٩٩٧م، ج٩: ٣٨١) أمّا قوله تعالى ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ ففيه كناية عن صفة دناءة نفوس المنافقين وقلة رُجْلَتِهم. إنّ التعبير الحقيقي الصريح هو: طلبوا أن يقعدوا عن الجهاد

والتعبير الكنائي هو: رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. إذا قمنا بالموازنة بين التعبير لو كان مصرحاً أي باللفظ الموضوع له "القعود عن الجهاد" والتعبير الكنائي "كونهم مع الخوالف" فنري في التعبير الكنائي من المبالغة والتصوير ما ليس في التعبير الحقيقي الصريح؛ حيث إنّ التعبير الكنائي يرينا مدي دناءتهم وخستهم؛ لأنهم ارتضوا لأنفسهم وصفاً لا يليق بالرجال وفرحوا بهذا الوصف دون أن ينتبهوا لما فيه من إهانة لهم «ومن يَرضَ أن يكون وضعه مع الخوالف، فهو يتصف بدناءة النفس وانحطاط الهمة؛ فهم رضوا ان يُعاملوا معاملة النساء، والخوالف- كما نعلم- جاءت على مراحل، فهم قالوا: ﴿ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة: ٨٦). إن القعود مقابل للقيام، والقيام من صفات الرجولة؛ لأن الرجل قَيِّم على أهله. والقعود للنساء، والخوالف ليست جمع خالف، وإنما هي جمع (خالفة)، ولا يجمع بها إلا النساء، وكذلك كلمة (القواعد) يقول سبحانه: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ (النور: ٦٠). أي: أنهم ارتضوا لأنفسهم دناءة وخسة؛ فتنازلوا عن مهام الرجال، وارتضوا أن يكونوا مع النساء هرباً من القتال، والشاعر يقول:

وَمَـــا أدْرِي ولسْـــتُ إخَـــالُ أدْري أقـــــوْمٌ آلُ حِصْـــــنٍ أمْ نسَـــــاءُ

أي: (القوم) في مقابل (النساء). (الشعراوي، ١٩٩١م، ج٩: ص٢٥٢)

الصورة الكاريكاتيرية: يمكن وصف الصورة الكاريكاتيرية لهذه الكناية التصويرية بأنهم رجال أثرياء وبدينون يرتدون ملابس فاخرة ولكنهم في غاية الجبن والدناءة؛ لأنّهم عندما وقعت الحرب لم يخرجوا من بيوتهم واختبأوا خلف زوجاتهم.

الكناية التصويرية الكاريكتيرية عن صفة الجبن والروع

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب/ ١٩).

## السياق اللغوي

والشح: البخل بما في الوسع مما ينفع الغير. وأصله: عدم بذل المال والمجيء: مجاز مشهور من حدوث الشيء وحصوله. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ (الإسراء: ٧). والخوف: توقع القتال بين الجيشين، ومنه سميت صلاة الخوف والمقصود: وصفهم بالجبن،

أي إذا رأوا جيوش العدو مقبلة رأيتهم ينظرون إليك. وجملة ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ (الأحزاب: ١٩) حال من ضمير ينظرون لتصوير هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدق بعينيه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها. فمعنى ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ (الأحزاب: ١٩) أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة.وشبه نظرهم بنظر الذي يغشى عليه بسبب النزع عند الموت فإن عينيه تضطربان. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ج٢١: ص٢٩٦)

## السياق المقامي:

نزلت الآية في المنافقين الذين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمّد وأصحابه إلاّ أكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه،

دعوا هذا الرجل فإنّه هالك فأقبلوا على المؤمنين يعوّقونهم ويخوّفونهم بأبي سفيان ومن معه. إنّ صفات هؤلاء المنافقين الشخصية قبيحة جدا: فهم أولا: قوم بخلاء أشحة بأنفسهم وأموالهم وجميع أحوالهم، لا يقدّمون منفعة للمؤمنين ولا لغيرهم بحق. وهم أيضا جبناء، فإذا ظهرت أمارات الخوف من العدو في بدء المعركة والقتال، لاذوا بالنبي ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ كناية عن صفة شدة جبن المنافقين وخوفهم وروعهم وهي تصوير للحال التي تستولى على هؤلاء المنافقين ومن في قلوبهم مرض حين تتحرك أمامهم أشباح الحرب، وتلوح لهم جيوش العدو، فكيف يكون حالهم من الفزع والرعب، حين يلقون العدو، وتسل السيوف وتشرع الرماح؟ إنّ التعبير الحقيقي الصريح هو: "وهم خائفون" والتعبير الكنائي هو: ينظرون إليكَ تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت". إذا قمنا بالموازنة بين التعبير لو كان مصرحاً أي باللفظ الموضوع له "إنّهم خائفون" والتعبير الكنائي "دوران أعينهم" فنري في التعبير الكنائي من المبالغة في وصف المنافقين بالخوف والجبن والحركة والتدفق ما ليس في التعبير الحقيقي الصريح؛ حيث إنّ التعبير الكنائي يرينا مدي «وصفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يميناً وشمالا محددا بصره، وربما غشي عليه.» (القرطبي، ١٩٦٤م، ج١٤: ص١٥٣) وقد عبر القرآن عنه بالخوف، بالإضافة إليهم، لأن القتال يطلع عليهم بما يملأ نفوسهم خوفا وهلعا «وفي إقامة الخوف مقام القتال، إشارة إلى أن المنافقين أجبن الناس، وأشدهم حرصا على

الحياة، وأن مجرد ذكر كلمة الحرب عندهم تملأ قلوبهم فزعا ورعبا- فالحرب بالإضافة إليهم، خوف متجسد.» (الخطيب، ١٩٧٠م، ج١١: ص٦٧٤).

الصورة الكاريكاتيرية: وفي قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ بإمكاننا تصوير حال المنافقين الذين تدور أعينهم يميناً وشمالاً إذا شاهدوا ما يخافونه كعين الذي يغشى عليه من الموت، وهو الذي نزل به الموت وغشيته أسبابه، فيذهل ويذهب عقله، ويشخص بصره فلا يطرف وهي صورة شاخصة وفي الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذين تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش.

## النتيجة:ـ

من الظواهر التي تخلق الصورة والإيجاز في العمل الأدبي هي الكناية التصويرية. من منظور أسلوبي، تعدّ الكناية التصويرية ظاهرة انزياحية؛ لأنّها مضادّة لما هو معتاد في اللغة المألوفة واستخدامها يؤدّي إلى أدبية النص وشعريته. من الناحية الأخري، إنّ تواتر هذه التقنية في النص الأدبي بالإضافة إلى التشخّص وخلق الأسلوب، تعطي المعاني صورة أرسخ في النّفس. كان هذا البحث محاولاً لقراءة بعض مفاهيم النص القرآني الساخرة باستخدام الكناية التصويرية ودرس المعاني الداخلية والانفعالات النفسية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقام السخرية لا سيّما حين يكون الحديث عن المنافقين وألدّ أعداء الإسلام. استدعي المقام أن تكثر الكناية التصويرية عن الصفة ومعظمها كنايات قريبة واضحة لا حاجة إلى العناء في استخراجها وهي متناسقة والمقام الذي تتحدّث عنه مما يدلّ علي رشاقة الكلمة ومناسبة حال اللفظ لمقام الكلام. تستخدم هذه الكنايات من أجل تجسيد المفاهيم المجردة والعقلية وتشخّصها وجعلها محسوسة وملموسة لدي المتلقّي بالإضافة إلى أنّ هذا النوع من الكناية تتحقق في الواقع الخارجي. تبيّن لنا أنّ الكنايات التصويرية الكاريكاتيرية ترتبط بالأمور النفسية والصفات المذمومة وأكثرها استخداماً هي التكبر والخيلاء ثم المهانة والإذلال والجبن والدناءة فبالتالي إنّ الكناية أبلغ من التصريح في تجسيد هذه الصفات والكشف عن خبايا النفوس وما ينطوى فى داخلها من مشاعر. إنّ أغلب الكنايات جاء فى تصوير وجوه الكافرين والمنافقين والغرض من استهدافهم مادة للكناية هو الضحك والإذلال وفائدتها تبيان درجة الذل والهوان أي أنّهم قاموا بإهانة الله ورسوله فأحبطهم

وأذلّهم غاية الإذلال كما أنّ هناك كنايات تصويرية تمّ إيرادها بأسلوب تعليمي وعظي والهدف من ذلك بالإضافة إلى الضحك هو النصح والإرشاد والتوجيه.

## قائمة المصادر والمراجع


إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. إبراهيم، وليد عبد المجيد (٢٠٠١م)، الشعر الهزلي العباسي حتي نهاية القرن الثالث الهجري، الطبعة الأولى، عمان، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م)؛ تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.

٣. أبو حيّان، محمد بن يوسف (١٩٩٣م)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. أبو ذكري، السيد مرسي (١٩٨١م)، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، القاهرة: دار المعارف.

٥. أبو عيّاش، صلاح الدّين (٢٠١٥م)، معجم مصطلحات الفنون، الطبعة الأولى، عمان: دار أسامة للنشر.

٦. إسماعيل، محمد بكر (١٩٩٩م)، دراسات في علوم القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المنار.

٧. الآلوسي، محمود أبو الثناء. (لاتا). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٨. الجارم، علي (١٩٩٩م)، البلاغة الواضحة: البيان - المعاني - البديع، القاهرة: دار المعارف.

٩. جبري، سوسن (١٣٩٤). «ترديدهاي بنيادين در معيارهاي شناخت كنايه»، دوفصلنامه زبان وادبيات فارسي، دوره٢٣، شماره ٧٩، صص ٨٣ تا صفحه١١٢.

١٠. الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مصر: مطبعة المدني بالقاهرة

١١. حسيني، جعفر (١٤١٣). أساليب البيان في القرآن، تهران: وزارت فرهنگ و ارشاد إسلامي.

١٢. الخطيب، عبد الكريم (١٩٧٠م)، التفسير القرآني للقرآن، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٣. الدّرويش، محي الدّين (١٩٩٩م)، إعراب القرآن الكريم وبيانه، الطبعة السّابعة، لبنان- بيروت: دار ابن كثير.

١٤. الراغب، عبد السلام أحمد (٢٠٠١م)، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الطبعة الأولى، حلب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر.

١٥. السكاكي، يوسف بن محمد (١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، الطبعة الثانية.

١٦. الشعراوي، محمد متولي (١٩٩١م) تفسير الشعراوي، راجع أصله: أحمد عمر هاشم، الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية.

١٧. الشنقيطي، محمد الامين (١٩٨٠م)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨. الصابوني، محمد علي (١٩٨١م)، صفوة التفاسير، الطبعة الرابعة، بيروت: دار القرآن الكريم.

١٩. الطباطبائي، محمد حسين (١٩٩٧م)، الميزان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٠. عبد العال، ولاء حسن نشأت عبد الله (٢٠١٦م)، «استلهام تشكيلات نحتية معاصرة مستوحاة من خطوط فن الكاريكاتير لتنمية الخيال والإبداع» التربية عن طريق الفن، الجيزة: مديرية الشؤون الاجتماعية.

٢١. عبدالحميد، شاكر (٢٠٠٣م)، الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٢٢. الفرّاء، أبو زكريا (١٩٨٨م)، معاني القرآن، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٣. فطيمة، بعلي بن دنيا (٢٠١٤م)، «الصورة الكاريكاتورية بين فعل التلقّي وآليات التأويل»، مجلّة علمية، جامعة أحمد بن بلة، المجلّد:٣، العدد:٩، الجزائر. وهران.

٢٤. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية.

٢٥. القزويني، الخطيب (٢٠٠٥م)، تلخيص المفتاح، القاهرة: مكتبة الآداب.

٢٦. مصطفى، إبراهيم والآخرون (لاتا)؛ المعجم الوسيط، استانبول: المكتبة الإسلامية.

٢٧. ميرزا نيا، منصور (١٣٨٢). فرهنگ‌نامة كنايه، تهران: امير كبير.

٢٨. وهبة، مجدي والمهندس كامل (١٩٨٤م)، معجم المطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة الثانية، بيروت: مكتبة لبنان.